

# المحاضرة العاشرة

أ.د.سوزي رشاد

# النشأة

أولاً: السياق الأكاديمي لنشأة البنيوية: في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، كانت نظريات العلاقات الدولية مهيمنة عليها نظريتان تقليديتان:

• الواقعية الجديدة ( Neo-realism) وتركّز على بنية النظام الدولي بوصفه فوضويًا (أناركياً)، وترى أن الدول تتصرف وفق مصالحها الأمنية في ظل غياب سلطة عليا.

• الليبرالية الجديدة ( Neo-liberalism) تعترف بالفوضى لكنها ترى أن التعاون ممكن من خلال المؤسسات الدولية.

• هتان النظريتان اشتركتا في شيء مهم: المادية ( Materialism) والعقلانية ( Rationalism) بمعنى أنهما افترضتا أن سلوك الدول يتحدد من خلال مصالح مادية (مثل القوة والمال)، وأن الدول "عقلانية" تتصرف وفق حسابات واضحة.

• **!** لكن، بدأ يظهر نقد لهذا التوجه، يسأل: ماذا عن الأفكار؟ القيم؟ الهوية؟ الأعراف الدولية؟ كيف تفسر الواقعية سقوط الاتحاد السوفيتي دون حرب؟ لماذا تتصرف دولتان متساويتان في القوة بشكل مختلف في سياقين مختلفين؟

ثانياً: التأثير الفلسفي والمنهجي لنشأة البنائية: تأثرت بفكر فلسفي **يسمى** **البنائية الاجتماعية** (Social Constructivism)، الذي انتشر في علم الاجتماع (مثل أعمال بيتر بيرغر وتوماس لوكمان)،

وينص على: "الواقع الاجتماعي ليس شيئاً موضوعياً ثابتاً، بل هو يُبنى من خلال المعاني التي يخلقها الناس."

• البنائية في العلاقات الدولية أخذت هذه الفكرة، وطبقها على السياسة العالمية:

✓ النظام الدولي ليس مجرد توازن قوى، بل منظومة من المعاني والتفاعلات الاجتماعية.

✓ الدول لا "تولد" بهويات أو مصالح ثابتة، بل تكتسبها وتتغير عبر التفاعل الاجتماعي.

• **ثالثاً: نقطة التحول في النظرية:** مقالة ألكسندر وندت عام 1992, Wendt, 1992  
Alexander. "Anarchy is What States Make of It" (1992)

• وهي من أهم المقالات في تاريخ العلاقات الدولية، وتعتبر بمثابة الإعلان التأسيسي للبنائية الاجتماعية في هذا الحقل.

• الفكرة الأساسية للمقال : في النظام الدولي، لا توجد سلطة عليا فوق الدول (يعني في أناركية). لكن هذه الأناركية لا تحدد بالضرورة كيف تتصرف الدول، بل **طريقة تفاعل الدول فيما بينها، وكيف تفهم بعضها البعض، هي التي تحدد شكل العلاقات.**

• بمعنى آخر: الأناركية ليست السبب الحتمي للصراع أو الحرب، الذي يحدد هل سيكون هناك سلام أم صراع هو كيف تتفاعل الدول، وما هي المعاني التي تنسبها إلى الآخرين.

# أهم 5 أفكار في المقالة:

## 1. الأناركية ليست ثابتة أو حتمية:

- الواقعيون يرون أن الأناركية = تنافس = صراع.
- لكن وندت يقول: هذا ليس حتمياً. الدول هي التي تصنع شكل النظام **عبر تفاعلها**. "Anarchy is what states make of it."

## 2. الهويات تُنتج المصالح:

- الواقعيون يفترضون أن كل الدول تسعى للقوة والأمن.
- وندت يقول: لا، الدولة تكتسب هويتها من تفاعلها مع الآخرين، وبالتالي تتحدد مصالحها بناءً على هذه الهوية.
- مثلاً: إذا رأت دولة أخرى كـ "عدو"، ستتصرف بعدوانية. أما إذا رأتها كـ "صديق"، فستتعاون معها.

### 3. الأفكار والمعاني أهم من القوة

- ما يهم ليس فقط من يمتلك القوة، بل كيف يفهم استخدام هذه القوة.
- مثلاً: لو قامت دولة بحشد جيشها، فهل هذا تهديد؟
- الجواب: يعتمد على العلاقة والنية المتبادلة، وليس فقط على القوة نفسها.

### 4. الهوية والعلاقة تُبنى بمرور الوقت

- الدول لا تولد بأدوار أو علاقات معينة.
- بل تتشكل الهويات والسلوكيات من خلال تاريخ طويل من التفاعل.

### 5. التغيير ممكن

- الواقعية ترى أن النظام الدولي ثابت إلى حد كبير.
  - أما وندت فيؤمن بأن التغيير ممكن لأن الهويات والمعاني قابلة للتطور.
- الخلاصة: طريقة التفاعل هي التي تحدد طبيعة العلاقة: صداقة، عداة، أو تعاون.**

## رابعاً: عوامل سياسية ساعدت في صعود البنائية

1. انهيار الاتحاد السوفيتي (1991): لم يكن نتيجة حرب أو تغيرات مادية بقدر ما كان نتيجة **تحول في الأفكار والشرعية الداخلية.**
2. انتشار مفاهيم جديدة مثل **حقوق الإنسان، الأعراف الدولية، السيادة المحدودة.**
3. البنائية استطاعت تفسير هذه الظواهر بطريقة لم تستطعها الواقعية أو الليبرالية المادية، معتمدة فيها **على الأفكار.**

# خلاصة النشأة

## العنصر

## التفسير

السياق النظري

نقد للنظريات المادية والعقلانية التقليدية.

التأثير الفلسفي

البنوية الاجتماعية (Social Constructivism).

اللحظة الفارقة

مقالة وندت 1992، وكتابه 1999.

القوة التفسيرية

فهم التغيير، الهوية، الأعراف، الخطاب، الشرعية.

# المفاهيم والمبادئ الأساسية

المفهوم	التوضيح
الهوية (Identity)	كيف ترى الدولة نفسها ودورها في العالم، وكيف ترى الآخرين. <b>الهوية تُشكّل المصالح</b> ، وليس العكس.
المعاني الاجتماعية (Social Meanings)	<b>الأفعال</b> لا تكتسب معناها من ذاتها، بل من السياق الاجتماعي <b>والتفاعل بين الفاعلين</b> . مثلاً: السلاح النووي البريطاني لا يُخيف أمريكا، لكن النووي الكوري الشمالي يُخيفها.
الأعراف (Norms)	قواعد غير مكتوبة تنظم السلوك المقبول في المجتمع الدولي (مثلاً: عدم استخدام الأسلحة الكيميائية، احترام السيادة).
التفاعل الاجتماعي (Social Interaction)	العلاقات بين الدول تتشكل بمرور الوقت من خلال التفاعل المتكرر، الذي يكون <b>هويات وأعراف جديدة</b> .
الخطاب (Discourse)	اللغة والمفاهيم التي تستخدمها الدول تساهم في خلق واقع اجتماعي. <b>الخطاب</b> ليس فقط وسيلة للتواصل، بل أداة لصياغة الواقع الدولي.
الشرعية (Legitimacy)	قبول المجتمع الدولي لسلوك معين على أنه "صحيح" أو "معقول"، حتى لو لم يكن مدعوماً بالقوة المادية.
البناء الاجتماعي للواقع (Social Construction of Reality)	لا يوجد شيء ثابت في العلاقات الدولية، بل كل المفاهيم مثل "الدولة"، "القوة"، "التهديد" يتم بناؤها اجتماعياً من خلال <b>التفاعل والمعاني المشتركة</b> .

## مثال توضيحي على حاكمية الأفكار في المدرسة البنائية:

لماذا ترى أمريكا أن السلاح النووي البريطاني غير مهدد، لكن سلاح كوريا الشمالية خطر كبير؟

### \* الإجابة البنيوية:

. لأنه في السياق الاجتماعي والسياسي، أمريكا ترى بريطانيا "حليفة" و"صديقة" تشترك معها في القيم والنظام الدولي.

. أما كوريا الشمالية، فهي "عدو" له خطاب معادٍ، وهوية مرفوضة من الغرب.

. إذن السلوك نفسه (امتلاك النووي) يُفسَّر بطريقة مختلفة بناءً على الهوية والعلاقة.

# الفرق بين البنائية والمدارس التقليدية

العنصر	الواقعية	الليبرالية	البنائية
طبيعة الفاعل	عقلاني وصراعي	عقلاني وتعاوني	اجتماعي وهوياتي
محددات السلوك	المصلحة والقوة	المصالح والتعاون	الهوية والمعنى
طبيعة النظام الدولي	أناركي وثابت	أناركي وقابل للتعاون	أناركي يُعاد تشكيله
إمكانية التغيير	ضعيفة	ممكنة عبر المؤسسات	قوية – عبر إعادة تشكيل الأفكار

# تحليل بعض الأحداث وفق المدرسة البنائية

سقوط الاتحاد السوفيتي (1991)

التحليل الواقعي التقليدي: يركّز على تراجع القوة المادية والاقتصادية.

التحليل البنوي:

. يُفسر الانهيار بأنه تحول في الهوية والأفكار داخل القيادة السوفيتية (مثل خطاب غورباتشوف عن "الشفافية" و"إعادة الهيكلة").

. تغيير الخطاب السوفيتي نحو الغرب ساهم في إعادة تعريف العلاقة بينه وبين الغرب.

. الانهيار لم يكن "حتمياً" بسبب التوازن العسكري، بل كان ناتجاً عن تحول اجتماعي في المعاني والشرعية السياسية.

# نزع السلاح النووي لجنوب أفريقيا (1990s)

البنائية تقول: 

- . جنوب أفريقيا قررت التخلي عن برنامجها النووي عندما تغيّرت هويتها السياسية بعد نهاية نظام الفصل العنصري.
- . لم تتخذ القرار بناءً فقط على "المصالح المادية"، بل على رغبة في الاندماج في المجتمع الدولي كدولة مسؤولة.
- . السلوك كان يعكس هوية جديدة للدولة كجزء من نظام دولي ملتزم بالأمن والسلام.

الاعتراف بفلسطين كدولة من قبل بعض الدول 

التحليل الواقعي: غير ذي أهمية ما دامت فلسطين لا تملك سيادة كاملة. 

البنائيون: 

. يرون أن الاعتراف الرمزي يعكس تغييرًا في الأعراف الدولية حول مفهوم الدولة والشرعية.

الدول التي تعترف بفلسطين تساهم في إعادة تشكيل المعايير الدولية المتعلقة بحق تقرير المصير

## الفواعل الدولية عند البنائية

• في المدرسة البنائية (Constructivism) في العلاقات الدولية، الفواعل (Actors) لا يُنظر إليهم فقط ككائنات مادية تحركها مصالح عقلانية مثلما هو الحال في المدارس الأخرى (كالواقعية أو الليبرالية)، بل يُنظر إليهم على أنهم فاعلون اجتماعيون يتأثرون بالقيم والمعاني والهويات المشتركة. وبناءً على ذلك، يمكن تقسيم الفواعل في النظرية البنائية إلى فئات رئيسية تتفاعل مع بعضها ضمن سياقات اجتماعية وثقافية.

## الدول: (States)

الدول هي الفاعل الرئيسي في البنائية، ولكن لا يتم النظر إليها ككيانات ثابتة ذات مصالح جامدة. بل هي كيانات ديناميكية تتشكل هويتها عبر تفاعلاتها مع الدول الأخرى.

. الهوية الوطنية للدولة تتكون من خلال التفاعلات الاجتماعية والمفاهيم التي تُبنى حولها.

مثلاً: الولايات المتحدة قد ترى نفسها كـ "قوة للخير" في العالم، بينما روسيا قد تبني هويتها حول مفهوم "الحفاظ على سيادتها" أو مقاومة الهيمنة الغربية.

# المنظمات الدولية: (International Organizations)

. تُعد المنظمات الدولية (مثل الأمم المتحدة، الاتحاد الأوروبي، البنك الدولي) فاعلين مهمين في البنائية لأنها تعمل على تشكيل المعايير والتأثير على سلوك الدول.

. المنظمات ليست مجرد منتديات للتفاوض، بل هي قوى فاعلة في بناء الهويات والتمثيلات الاجتماعية.

◦ على سبيل المثال: الأمم المتحدة قد تساهم في تشكيل المعايير الدولية حول قضايا مثل حقوق الإنسان و الحد من التسليح النووي.

# الأنظمة السياسية والأيدولوجيات (Political Systems and Ideologies):

في البنائية، الأنظمة السياسية تؤثر على الهوية الجماعية للدول. كذلك، الأيدولوجيات التي يحملها النظام الحاكم تشكل كيف يُنظر إلى العالم.

على سبيل المثال: النظام السوفيتي في ظل غورباتشوف كان يحاول إعادة تشكيل هويته من خلال مفاهيم جديدة مثل الغلاسنوست و البيريسترويكا.

## الفاعلون غير الدوليين: (Non-State Actors)

. في البنائية، الفاعلون غير الدوليين مثل المنظمات غير الحكومية (NGOs) ، الحركات الاجتماعية، و الشركات متعددة الجنسيات يمكن أن يلعبوا دورًا في تشكيل السياسات الدولية.

على سبيل المثال: الحركات البيئية أو منظمات حقوق الإنسان قد تؤثر في الدول لتبني معايير جديدة تتعلق بالبيئة أو حقوق الإنسان.

# الأفراد والمفكرون: (Individuals and Thinkers)

. الأفراد، خاصة القادة السياسيين و المفكرين، يمكن أن يكونوا فاعلين مؤثرين في البنائية من خلال تشكيل خطابات جديدة و إعادة بناء المعاني.

◦ على سبيل المثال: ميخائيل غورباتشوف كان فاعلاً مؤثراً في إعادة تشكيل الهوية السوفيتية من خلال البيروسترويك و الغلاسنوست.

## الخطاب:(Discourse)

الخطاب بحد ذاته يمكن أن يُعتبر فاعلاً في النظرية البنوية، لأنه يساهم في تشكيل المعاني الاجتماعية التي تحدد سلوك الدول.

الخطاب السياسي في الإعلام أو في السياسة يمكن أن يغير المفاهيم الاجتماعية حول مفاهيم مثل الأمن، السيادة، أو التهديد.

# ⚖️ الفاعلون في البنائية بالمقارنة مع المدارس الأخرى:

الفاعل	البنائية	الواقعية	الليبرالية
الدول	فاعلون يتشكلون من خلال الهويات والتفاعلات الاجتماعية	فاعلون مستقلون يسعون لتحقيق المصلحة والقوة	فاعلون يتعاونون ضمن مؤسسات دولية
المنظمات الدولية	فاعلون في تشكيل المعايير الاجتماعية	مجرد منتديات للتفاوض بين الدول	فاعلون رئيسيون في تعزيز التعاون
الفاعلون غير الدوليين	فاعلون مهمون في تشكيل المعايير الاجتماعية	لا يُعترف بهم بشكل رئيسي	فاعلون حاسمون في تعزيز التعاون عبر الحدود
الأفراد	يمكن أن يكونوا مؤثرين في بناء الهويات والتمثيلات	ليسوا فاعلين رئيسيين	ليسوا فاعلين رئيسيين